جامعـــة الأزهـــــر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد

أسرار التذييل في محكم التنزيل

دراسة تفسيرية تطبيقية

"سورة الأحـــزاب نموذجًا"

إعداد

د/ سحر ربيع عبد الحميد يونس

مدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
فرع البنات بالقاهرة - جامعة الأزهر

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الرابع والأربعون، لعام ١٤٤٦هـ - يونيو ٢٠٢٥م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٢٤/٦١٥٧ والترقيم الدولي الطباعي
I.S.S.N 2974-4660 و The Online ISSN 2974-4679

أسرار التذييل في محكم التنزيل دراسة تفسيرية تطبيقية "سورة الأحزاب نموذجاً"

سحر ربيع عبد الحميد يونس
قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية فرع البنات بالقاهرة ـ جامعة الازهر ـ مصر.
البريد الإلكتروني: ـ Sahar Younis. 2921el@ azhar. edu. eg

الملخص: ـ

يهدف هذا البحث إلى بيان وجه من وجوه البلاغة القرآنية، وهو التذييل، وقد أبانت الدراسة وجهاً من وجوه دقة النظم القرآني المعجز في تذييل الآيات بما يتناسب مع مضمونها، وقد اتخذت سورة الأحزاب سبيلاً للتطبيق على هذا المعنى، كما اعتمدت الدراسة في هذا البحث على المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي، والمنهج الاستنباطي، وقد قسمت البحث إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس. وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى جملة من النتائج منها: أن التذييل الوارد في سورة الأحزاب على أنواع متعددة، وألوان متباينة، فمرة يأتي مؤكداً للمنطوق، وأخرى مؤكداً للمفهوم، ومرة يأتي جارياً مجرى المثل، ومرة لا يجري مجراه، فجملة التذييل استوعبت وحققت أغراضاً كثيرة منها الترغيب والتشويق، والتوبيخ، والتهويل، والتعليل. كما ألقي هذا البحث الضوء علي أهمية دراسة فوائد التذييل، والفرق بينه وبين الفاصلة، ويوصي البحث بمواصلة دراسة هذا الجانب من جوانب الإعجاز القرآني، لأن هذا العلم يعيين على فهم المعاني واستنباط دقائق كتاب الله– عز وجل –.

الكلمات المفتاحية: أسرار، التذييل، بلاغة، إعجاز، الأحزاب.

The Secrets of the Verses' Endings in the Qur'an: An Applied Interpretive Study، "Surat Al-Ahzab as a Model"

Sahar Rabea Abdel-Hameed Younis
Department of Interpretation and Qur'an Sciences، Facultyof Islamic and Arabic Studies، Girls' Branch of Cairo، Al-Azhar University - Egypt
Email: Sahar Younis. 2921el@ azhar. edu. eg

Abstract ;-

This research aims to demonstrate one aspect of Quranic eloquence، which is the verses' ending. The study has demonstrated the precision of the miraculous Quranic system in ending verses in a manner that is consistent with their content and its application to Surat Al-Ahzab. The current research depended on the inductive، analytical and deductive approaches. I divided the research into an introduction، two entries، a conclusion، and indexes. Through this research، I have reached a number of results: that the verses' ending in Surat Al-Ahzab is of many types and varied colors. Sometimes it comes to confirm the explicit saying and other times it confirms the implied meanings، and sometimes it comes in the form of a proverb، and sometimes it does not. The verses' endings have absorbed and achieved many purposes، including encouragement، suspense، rebuke، intimidation، and explanation. This research also sheds light on the importance of studying the benefits of the verses' ending، and the difference between it and the breaks. The research recommends continuing the study of this aspect of the miraculous nature of the Qur'an، because this science helps to understand the meanings and deducing the subtleties of the Book of God - the Almighty.

Key Words: Secrets، verses' ending، eloquence، miracle، Al-Ahzab

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلي آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد؛

فإن القرآن الكريم نزل بأفصح لسان، بلسان عربي مبين، وقد بلغ الغاية في كل الوجوه في ترتيبه، وأسلوبه، ونظمه مع سهولة كلمته وجزالتها، وعذوبتها، وسلاستها، إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عن الإتيان بمثلها، وتحيّرت عقولهم فيها، ومن أبرز وجوه الإعجاز القرآني التذييل الذي هو محور بحثي، لأنه يشمل جمال البيان، ودقة التصوير، فهو يعين على فهم كتاب الله – عز وجل– والوقوف على أسراره، واستنباط أحكامه، ولذا فقد عقدت العزم – بعون المنان– على بيان بعض أسرار التذييل من خلال سورة الأحزاب مستضيئة بما كتب العلماء في هذا المضمار.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

(أ) أهمية الموضوع:

١– موضوع البحث يتعلق بخدمة كتاب الله – عز وجل – الذي به يكتسب المرء شرفاً بالعكوف على دراسته.

٢– دراسة التذييل في آي القرآن أمر له أهمية كبيرة، لأنه يعين على فهم المعاني وإدراك المقاصد الإلهية في كتاب الله – عز وجل.

٣– قيمة التذييل في جمال البيان وروعة تصوير المعاني والقدرة على تسهيل الحفظ، وهذا يتضح من خلال سورة الأحزاب.

(ب) أسباب اختيار الموضوع:

١- توفيق الله – عز وجل – لي في اختيار هذا الموضوع.

٢- إضافة دراسة جديدة إلى المكتبة التفسيرية فيما يتعلق بهذا اللون من ألوان البلاغة في كتاب الله تعالى.

٣-المساهمة في استكمال ما بدأه غيري حيث وقفت على بعض الدراسات التى تهتم بإبراز هذا الجانب البلاغي وتطبيقه على بعض سور القرآن الكريم

لهذه الأسباب استعنت بالله على تطبيق هذه الدراسة على سورة الأحزاب، وأسأل الله العظيم أن يغفر لي تقصيري، وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الدراسات السابقة:

بعد البحث لم أجد دراسة – حسب ما وقفت عليه – عنيت بتناول أسلوب التذييل وتطبيقه على سورة الأحزاب، وإنما وجدت الدراسات التالية:

١- التذييل عند ابن عاشور في تفسيره: دراسة موضوعية تحليلية سورة البقرة نموذجاً، بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية للبنين بأسوان، العدد الرابع، ذو القعدة ١٤٤٢هـ، ٢٠٢١م إعداد الدكتور مصعب بن عبد اللطيف.

٢- أسرار التذييل في الربع الثالث من سورة النساء من أول قول الله – تعالى –: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ إلى آخر الربع، بحث منشور في مجلة كلية البنات الإسلامية بأسيوط، العدد الثامن عشر، يناير ٢٠٢١م، للدكتور مصطفي أحمد محمد أحمد، أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا.

٣- أسرار التذييل القرآني في الربع الأول من سورة المائدة من الآية الأولى حتى الحادية عشرة، بحث منشور في كلية مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الكويت

– للدكتور حسين عبد العال محمد، أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك في جامعتي الأزهر، والإمام محمد ابن سعود، مجلد ٣٥ عدد ١٢٠ (٢٠٢٠).

٤– التذييل وقيمته التفسيرية في سورة الشورى، بحث منشور في مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، سبتمبر ٢٠١٩م، د. محمد سعيد مصطفى الغزال المدرس بجامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا.

٥– من أسرار التذييل في كتاب الله الجليل: دراسة تطبيقية على سورة المجادلة، بحث منشور في حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، العدد السادس والثلاثون لعام ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م. د. شريفة بنت أحمد بن مبارك الغامدي، أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية الآداب، بجامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل.

٦– بلاغة القرآن في تذييل الآيات: دراسة تأصيلية، أ. د/ أحمد محمد الشرقاوي، بحث منشور في مجلة تدبر – عدد ٢ إبريل ٢٠١٧م – مجلد ١.

٧– بلاغة التذييل في محكم التنزيل: سورة الجمعة أنموذجاً، بحث منشور في مجلة كلية الآداب، العدد (٥) يناير ٢٠١٢م، للدكتورة: سميرة بنت محمد بن جالية، أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية الآداب، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن.

٨– من أسرار التذييل في سورة الجمعة، بحث منشور في مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية العدد (١١) المجلد (٤) يناير ٢٠١٦م للدكتور: عادل عبد اللطيف رجب عبد العاطي، مدرس التفسير بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة.

٩– أسرار التذييل في محكم التنزيل: دراسة تفسيرية تطبيقية " سورة التغابن أنموذجاً "، بحث منشور في المجلة العلمية لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدمياط الجديدة العدد (١٣) ديسمبر ٢٠٢٣ م، للدكتورة: منى مرسي إبراهيم مرسي، المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالسادات، جامعة الأزهر.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس، على النحو التالي:

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وخطة البحث، والمنهج المتبع في البحث.

المبحث الأول: الدراسة التأصيلية، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم التذييل، وأهمية دراسته في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أقسام التذييل، وأغراضه.

المطلب الثالث: الفرق بين التذييل والفاصلة.

المطلب الرابع: قيمة التذييل البلاغية، وعلاقته بالإعجاز القرآني.

المطلب الخامس: مظاهر اعتناء المفسرين بالتذييل.

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بسورة الأحزاب.

المطلب الثاني: أسرار التذييل في سورة الأحزاب.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث، وأهم التوصيات.

الفهارس: وتحتوي على المراجع، والمصادر التي تم الاعتماد عليها في البحث؛ تيسيراً للرجوع إلى ما اشتمل عليه البحث.

منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي، والمنهج الاستنباطي على نحو تكاملي لخدمة جزئيات هذا البحث، والوفاء بحقه وصولاً إلى هدفه المنشود.

وقد اتبعت في دراستي الخطوات التالية:

١- رجعت إلى ما تيسر الرجوع إليه من كتب التفسير التي عُنِيت بهذا الجانب البلاغي القرآني، وكذلك اطلعت على ما تيسر لي الرجوع إليه من أبحاث كتبت في فن

التذييل، حتى اتضحت الرؤية واستخرجت مواضع التذييل التي اشتملت عليها سورة الأحزاب.

٢- بدأت كل موضع بكتابة الآية القرآنية الكريمة المشتملة على التذييل بالرسم العثماني مع ذكر رقم الآية.

٣- ذكرت فائدة التذييل وصلته بالآية القرآنية.

٤- ذكرت ما ظهر لي من أسرار في جملة التذييل.

٥- ذكرت الدروس المستفادة من جملة التذييل.

٦- عزوت الآيات القرآنية المستشهد بها في البحث إلى سورها، بإثبات اسم السورة ورقم الآية بالهامش في نفس الصفحة.

٧- خرجتُ الأحاديث الشريفة من مصادرها المعتمدة.

٨- قمت بتوثيق النقول بنسبتها إلى مصادرها، مع الإشارة إلى التصرف إن تم التصرف في النص أو اختصاره.

٩- الاكتفاء بذكر البيانات الخاصة بالمرجع كاملة عند ذكره لأول مرة فقط.

١٠- قمت بتذييل البحث بالخاتمة التي تشتمل على أهم النتائج، والتوصيات، وفهرس المراجع والمصادر، التي تم الاعتماد عليها في البحث؛ تيسيراً للرجوع إلى ما اشتمل عليه البحث.

المبحث الأول: الدراســة التأصيـليـة

وفيه خمسة مطالب:

- **المطلب الأول**: مفهوم التذييل، وأهمية دراسته في القرآن الكريم.
- **المطلب الثاني**: أقسام التذييل.
- **المطلب الثالث**: الفرق بين التذييل والفاصلة.
- **المطلب الرابع**: قيمة التذييل البلاغية، وعلاقته بالإعجاز القرآني.
- **المطلب الخامس**: مظاهر اعتناء المفسرين بالتذييل.

المطلب الأول: مفهوم التذييل، وأهمية دراسته في القرآن الكريم.

أولاً: مفهوم التذييل لغة:

قال أهل اللغة: ذَيْل كلّ شيءٍ آخِرُه وَالْجمع أذْيال وذُيُول، وذَيْل الثَّوْبِ والإزارِ: مَا جُرَّ مِنْهُ إذا أُسْبِل. والذَّيْل: ذَيْلُ الإزار مِنَ الرِّداء، وَهُوَ مَا أُسْبِل مِنْهُ فأَصاب الأَرض. وذَيْل المرأَة لِكُلِّ ثَوْبٍ تَلْبَسه إذا جرَّته عَلَى الأَرض مِنْ خَلْفِهَا...، وذالَ الرَّجُلُ يَذِيلُ ذَيْلًا: تَبَخترَ فجرَّ ذَيْله [1]

التذييل اصطلاحاً:

- **التذييل في اصطلاح أهل البلاغة:**

هو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد حتى يظهر لمن لم يفهمه، ويتوكّد عند من فهمه[2]، وعبروا عنه أيضاً بأنه: وهو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد، وجاء عنهم أيضاً أن التذييل: هو أن يذيل المتكلم كلامه بجملة يتحقق فيها ما

---

(١) ينظر: المخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ) (١/ ٣٩٤) المحقق: خليل إبراهم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، ولسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) (١١/ ٢٦٠) بتصرف، الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة الثالثة – ١٤١٤ هـ، و القاموس المحيط لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) (١ / ١٠٠٢) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، –بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

(٢) ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب لأحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ) (٧ / ١٤٠) الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ، والإيضاح في علوم البلاغة لمحمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ) (٣ / ٢٠٥) المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي الناشر: دار الجيل – بيروت الطبعة الثالثة.

قبلها من الكلام، وتلك الجملة على قسمين: قسم لا يزيد على المعنى الأول، وإنما يؤتى به للتوكيد والتحقيق، وقسم يخرجه المتكلم مخرج المثل السائر ليحقق به ما قبله(١).

مما سبق نستخلص أن التذييل عند البلاغيين يكون بجملة تؤكد وتحقق ما قبلها.

- **التذييل في اصطلاح المفسرين:**

عرفه الزركشي: فقال التذييل: أن يؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول تحقيقا لدلالة منطوق الأول أو مفهومه؛ ليكون معه كالدليل ليظهر المعنى عند من لا يفهم، ويكمل عند من فهمه.

كقوله – تعالى–: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ﴾ ثم قال عز من قائل: ﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾ (سورة سبأ الآية: ١٧) أي هل يجازى ذلك الجزاء الذي يستحقه الكفور إلا الكفور، فإن جعلنا الجزاء عاما كان الثاني مفيدا فائدة زائدة، وقوله – تعالى –: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾(سورة الإسراء الآية: ٨١)، وقوله – تعالى –: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ﴾ (سورة الأنبياء الآية: ٣٤)، وقريب منه عرفه السيوطي بأنه: أن يؤتى بجملة عقب جملة والثانية تشتمل على المعنى الأول لتأكيد منطوقه أو مفهومه؛

(١) ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لعبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (المتوفى: ٦٥٤هـ) ص ٣٨٧ تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.

ليظهر المعنى لمن لم يفهمه ويتقرر عند من فهمه[١]، وعرفه الباقلاني بقوله: باب آخر من البديع يسمى: " التذييل " وهو ضرب من التأكيد"[٢].

وبذلك نجد أن التذييل معناه عند المفسرين لم يخرج عما ذكره البلاغيون.

ثانياً: أهمية دراسته في القرآن الكريم.

تذييل الآيات القرآنية سمة فريدة من سمات القرآن الكريم، تدل على بلاغته وروعته، وجماله، وتعين على فهم المعنى، واستنباط الأحكام، وترجع أهمية دراسة التذييل في كتاب الله – عز وجل – إلى عدة نقاط أجملها فيما يلي:

١- الاستعانة بهذا العلم على فهم كتاب الله، لأن دراسة التذييل تعيين على فهم سر إحكام التذييل، وتبين كثيراً من اللطائف والدقائق.

٢- إبراز جانب مهم من جوانب الإعجاز القرآني، فالتذييل يَزيدُ المُذيَّل حُسناً ورونقاً وروعة، وتتجلى لطائف الصلات ودقائق المناسبات بين الآيات بما يكشف عن الوحدة الموضوعية للقرآن، ويبرز جانباً من جوانب إعجازه البلاغي.

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) (٣ / ٦٨، ٦٩) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، والإتقان في علوم القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) (٣ / ٢٥٠) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

(٢) إعجاز القرآن للباقلاني لأبي بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ) ص ١٠٢ المحقق: السيد أحمد صقر الناشر: دار المعارف – مصر الطبعة الخامسة ١٩٩٧م.

٣- بيان مشكل التذييل، فقد تخفى وجوه المناسبة بين ختام الآية والسياق، وهنا تأتي أهمية دراسة هذا العلم، والتعمق فيه لإيضاح المشكل، ودفع ما يوهم ظاهرة التعارض.

٤- ردُّ شبهات المستشرقين وأعداء الدين حول وحدة البناء القرآني، لفظاً ومعنى، وكونه مبنى على الاتصال والاتساق الكاملين المحكمين، حيث أثاروا الشُّبه حول ترتيب القرآن، وزعموا أن آيات القرآن، لا يجمعها سياق وأوصوا بإعادة ترتيب القرآن.

٥- الاستعانة بهذا العلم في تثبيت حفظ القرآن الكريم، حيث يقع اللبس أحياناً في ختام الآية، فيعين هذا العلم على تجنب ذلك [١].

(١) ينظر: بلاغة القرآن في تذييل الآيات دراسة تأصيلية ص ٤٢ – ٤٩ باختصار للدكتور: أحمد الشرقاوي، مجلة تدبر، العدد الثاني، السنة الأولى. إبريل ٢٠١٧م.

المطلب الثاني: مفهوم التذييل، وأهمية دراسته في القرآن الكريم.

أولاً: أقسام التذييل باعتبار دلالته:

ينقسم التذييل من حيث دلالتُهُ إلي قسمين:

الأول: ما يؤكد المنطوق: "والمنطوق: وهو ما دل عليه اللفظ في محل النطق"(١)، وهو "أن يكون هناك اشتراك بين الجملتين في نفس اللفظ مثل قوله – تعالى –: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (سورة الإسراء الآية: ٨١) فإن زهوق الباطل في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ منطوق به في قوله: ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾، والمراد بالمنطوق هنا المعنى الذي نطق بمادته"(٢).

الآخر: ما يؤكد المفهوم: وهو ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق(٣) "كما في قوله – تعالى –: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ (سورة البقرة الآية: ١٠٨). فالمؤكد بجملة: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ هو مفهوم جملة ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ﴾ مفهوم الجملة التي قبلها لا منطوقها "(٤).

---

(١) أصول الفقه لمحمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ) (٣ / ١٠٥٦) حققه وعلق عليه وقدم له: الدكتور فهد بن محمد السَّدَحَان الناشر: مكتبة العبيكان الطبعة الأولى١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة (٣ / ٢٠٨).

(٣) ينظر: أصول الفقه لابن مفلح (٣ / ١٠٥٦).

(٤) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ (١/ ٦٦٧) الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

ثانياً: أقسام التذييل باعتبار الاستقلال وعدمه إلى قسمين:

القسم الأول: مَا يجري مجرى المثل، وهو ما استقلّ معناه واستغنى عمّا قبله، مثل قول الله –تعالى–: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ (سورة التغابن الأية: ٨). قال الطاهر بن عاشور: إنّ جملة ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ تذييل لجملة فآمنوا بالله ورسوله يقتضي وعدا إن آمنوا، ووعيدا إن لم يؤمنوا، وفي ذكر اسم الجلالة إظهار في مقام الإضمار لتكون الجملة مستقلة جارية مجرى المثل، وقد جاء في السنة المطهرة من هذا الباب: عن ابن عباس عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيما روى عن ربه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "إن ربكم تبارك وتعالى رحيم، من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرة، إلى سبعمائة، إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له واحدة، أو يمحوها الله، ولا يهلك على الله تعالى إلا هالك"(١) فقوله – صلى الله عليه وسلم–: " ولا يهلك على الله إلا هالك " تذييل في غاية الحسن، خرج الكلام فيه مخرج المثل(٢).

القسم الثاني: مَا لا يجري من التذييل مجرى المثل، وهو ما لا يستقلُّ معناه عمّا قبله كما في قوله – تعالى –: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٤٥) رقم (٢٥١٩)، وقال محققه إسناده صحيح
تحقيق: أحمد محمد شاكر الناشر: دار الحديث – القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.
(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ص ٣٨٨، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٨ / ٢٧٣).

ٱلۡكَفُورَ﴾ (سورة سبأ الآية: ١٧). إنّ جملة ﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾ تذييل غير جارٍ مجرى المثل لعدم استقلاله بمعناه، ولا يفهم الغرض منه إلا بما قبله إذ المعنى: لا نجزي مثل هذا الجزاء المعجّل بالعقاب المهلك الشامل للقوم إلاَّ من كان كفوراً(١).

وقد اجتمع الضربان في قوله – تعالى–: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ٣٤ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ (سورة الأنبياء الآيات ٣٤، ٣٥)، فإن قوله: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ﴾ من الأول، وما بعده من الثاني، وكل منهما تذييل على ما قبله(٢).

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة (٣ / ٢٠٥، ٢٠٦)، والبلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ) (٢ / ٨٧) الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.

(٢) ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبد المتعال الصعيدي (المتوفى: ١٣٩١هـ) (٢ / ٣٥٤) الناشر: مكتبة الآداب الطبعة السابعة عشر ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

المطلب الثالث: الفرق بين التذييل والفاصلة

الفاصلة في اللغة:

(فَصَلَ) الْفَاءُ وَالصَّادُ وَاللَّامُ كَلِمَةٌ صَحِيحَةٌ تَدُلُّ عَلَى تَمْيِيزِ الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ وَإِبَانَتِهِ عَنْهُ. يُقَالُ: فَصَلْتُ الشَّيْءَ فَصْلًا، وقال الأزهري: وأواخِرُ الْآيَات فِي كتابِ الله فواصِل، بِمَنْزِلَة قوافِي الشِّعر، واحِدَتُها فاصِلة(١).

الفاصلة في الاصطلاح:

عرفها الزركشي: " هي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع، وقال الداني: كلمة آخر الجملة"(٢).

وعرفها الرُماني: " الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني"(٣).

وعرفها الباقلاني: بأنها: " حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني وفيها بلاغة"(٤).

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) (١٢ / ١٣٦) المحقق: محمد عوض مرعب الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠١م، ومعجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) (٤ / ٥٠٥) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ولسان لابن منظور (١١/ ٥٢٤).

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١ / ٥٣).

(٣) النكت في إعجاز القرآن لعلي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي، (المتوفى: ٣٨٤هـ) ص ٩٧ المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام الناشر: دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة ١٩٧٦م.

(٤) إعجاز القرآن للباقلاني ص٢٧٠.

وبالنظر في هذه التعريفات؛ نجد أنها متفقه على أن الفاصلة هي آخر الآية، فكلّ آخر آية فاصلة ولا عكس، أي ليس كلّ فاصلة رأس آية، وأما على تعريف الداني فهي ليست مختصة بآخر الآية.

وقال الجعبري(١): " لمعرفة الفواصل طريقان: توقيفي، وقياسي أمّا التوقيفي: فما ثبت أنّه – صلّى الله عليه وسلم– وقف عليه دائما تحقّقنا أنّه فاصلة، وما وصله دائما تحقّقنا أنّه ليس بفاصلة، وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة أو لتعريف الوقف التّام أو للاستراحة، والوصل أن يكون غير فاصلة أوفاصلة وصلها لتقدّم تعريفها. وأمّا القياسي: فهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسب، ولا محذور في ذلك؛ لأنّه لا زيادة فيه ولا نقصان، وإنّما غايته أنّه محلّ فصل أو وصل، والوقف على كلّ كلمة جائز، ووصل القرآن كلّه جائز، فاحتاج القياسي إلى طريق تعرّفه، فنقول: فاصلة الآية كقرينة السجع في النثر، وقافية البيت في الشعر، وما يذكر من عيوب القافية من اختلاف

(١) الجعبري: هو إِبْرَاهِيم بن عمر بن ابراهيم بن خَلِيل الشَّيْخ العلامة الْمُقْرِئ برهَان الدَّين أَبُو إِسْحَاق الربعِي الجعبري شيخ بلد الْخَلِيل، ولد بجعبر فِي حُدُود سنة أَرْبَعِينَ وسِتمِائَة، ذكره الذهبي في المعجم المختص، وقال العلامة ذو الفنون مقرىء الشام، له التصانيف المتقنة في القراءات، والحديث، والأصول، والعربية، والتأريخ، وغير ذلك، وله مصنف مؤلف في علوم الحديث، توفي ببلد الخليل في شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة. ينظر: طبقات الشافعية لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (المتوفى: ٨٥١هـ) (٢ / ٢٤٣، ٢٤٤) المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان دار النشر: عالم الكتب – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ.

الحدّ، والإشباع، والتوجيه، فليس بعيب في الفاصلة، وجاز الانتقال في الفاصلة والقرينة"[١].

ومن خلال التعريفات السابقة لكّل من التذييل، والفاصلة، نجد أن التذييل يأتي وسط الآية، أو آخرها، بينما الفاصلة لا تكون إلا في آخر الآية، وتشترك الفاصلة مع التذييل في أنها موكده لبداية الآية ومتناسقة معها، وهذا آثر من آثر التذييل، وينفرد التذييل عن الفاصلة بأنه يكون في وسط الآية.

(١) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ) (٢ / ١٢٦١) تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم تحقيق: د. علي دحروج الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت الطبعة الأولى – ١٩٩٦م.

المطلب الرابع: قيمة التذييل البلاغية، وعلاقته بالإعجاز القرآني

التذييل لون من ألوان الإطناب، وصوره من صوره، ولكي نستطيع أن نبرز أسرار التذييل، وقيمته البلاغية، لابد من الوقوف على النقاط التالية:

أولاً: القرآن الكريم والبلاغة:

البلاغة العربية نشأت في ظل القرآن، مُظهرة لبيانه، وكاشفة عن إعجازه، والبلاغة في تعريف البلغاء تدور بين الإطناب والإيجاز، وقال العسكري: " القول القصد أنّ الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام وكلّ نوع منه؛ ولكلّ واحد منهما موضع؛ فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه؛ فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته، واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ"(١)، والناظر في كتاب الله يجد أنه قد حوى صور البلاغة إيجازاً وإطناباً، وهذا أمر واضح غاية الوضوح، والتذييل في مواضعه له قيمة واضحة لا يستطيع أن ينكرها عاقل، فهو يعين على ظهور المعنى واتضاحه، وعندها تنشرح نفس السامع، لأنه حقق ما يريد من الوعى والفهم، ويفيد أيضاً توكيد المعنى وإظهاره، وقد عده البلغاء أحد مواضع البلاغة الثلاثة؛ يقول أبو هلال العسكري: قال بعض البلغاء: للبلاغة ثلاثة مواضع؛ الإشارة، والتذييل، والمساواة...؛ فأما التذييل: فهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه، حتى

(١) الصناعتين لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) ص ١٩٠ المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت عام النشر: ١٤١٩ هـ.

يظهر لمن لم يفهمه، ويتوكد عند من فهمه، وهو ضدّ الإشارة والتعريض؛ وينبغي أن يستعمل في المواطن الجامعة، والمواقف الحافلة؛ لأن تلك المواطن تجمع البطيء الفهم، والبعيد الذهن، والثاقب القريحة، والجيد الخاطر(١)، فالتذييل وسيلة من وسائل البلاغ المبين الذي يراعي سريع الفهم، وبطي الفهم، واللقن، ومتوسط الذكاء،... ومما يدل على قيمة التذييل البلاغية عناية العلماء والمفسرين به؛ فلا يخلو كتاب من كتب البلاغة من حديث عن التذييل لما له من قيمة البلاغية في بيان المراد وتأكيد المعنى(٢).

(١) ينظر: الصناعتين لأبي هلال العسكري ص٣٧٣.

(٢) ينظر: أسرار التذييل في الربع الثالث من سورة النساء إلى آخر الربع للدكتور: مصطفى أحمد محمد أحمد، بحث منشور في مجلة كلية البنات الإسلامية بأسيوط ص(٤٢، ٤٣) بتصرف العدد الثامن عشر (يناير) ٢٠٢١م.

المطلب الخامس: مظاهر اعتناء المفسرين بالتذييل

بالنظر في كتب التفسير؛ نجد أنها عنيت بإظهار قيمة التذييل وأسراره البلاغية، لأن العناية بالبلاغة القرآنية تعتبر أساساً في فهم النص القرآني، ومن هؤلاء المفسرين:

الإمام الألوسي: اعتنى الإمام الألوسي في تفسيره بهذا النوع من البلاغة القرآنية، وبين الغرض من مجيء جملة التذييل فعند تفسيره لقوله – تعالى –: " ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة: ٢٩).

قال: وقوله – تعالى –: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ تذييل مقرر لما قبله من خلق السماوات والأرض"(١).

وعند تفسيره لقوله – تعالى –: " ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (سورة الحديد الآية: ٢٣) قال: وقوله – تعالى –: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ تذييل يفيد أن الفرح المذموم هو الموجب للبطر والاختيال، والمختال المتكبر عن تخيل فضيلة تراءت له من نفسه، والفخور المباهي في الأشياء الخارجة عن المرء كالمال والجاه"(٢).

ومنهم: **العلامة أبو السعود** أيضاً من المفسرين الذين اعتنوا بالتذييل، ويبين الغرض من وجوده في الآية، فعند تفسيره لقوله – تعالى –: "﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة البقرة الآية: ٢٨٤) قال وقوله – تعالى –: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) (١ / ٢١٩) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي (١٤ / ١٨٧).

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تذييل مقرر لمضمون ما قبله فإن كمال قدرته تعالى على جميع الأشياء موجب لقدرته- سبحانه- على ما ذكر من المحاسبة وما فرع عليه من المغفرة والتعذيب"(١).

وعند أيضاً تفسيره لقوله – تعالى-: "﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (سورة آل عمران الآية: ١١)

قال: وقوله – تعالى –: ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ تذييل مقرر لمضمون ما قبله من الأخذ وتكملة له"(٢).

ومنهم العلامة الطاهر بن عاشور، من المفسرين الذين اعتنوا بإبراز الجوانب البلاغية في الآية، ومنها التذييل، فعند تفسيره لقوله – تعالى –: " ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا﴾ (سورة الأحزاب الآية: ٣٦) فقال قوله – تعالى –: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا﴾ تذييل تعميم للتحذير من مخالفة الرسول –عليه الصلاة والسلام– سواء فيما هو فيه الخيرة، أم كان عن عمد للهوى في المخالفة "(٣).

وعند تفسيره لقوله – تعالى –: "﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا﴾ (سورة النساء الآية: ٢٨).

قال: وقوله – تعالى –: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا﴾ تذييل، وتوجيه للتخفيف، وإظهار لمزية هذا الدين، وأنه أليق الأديان بالناس في كل زمان ومكان"(٤).

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) (١ / ٢٧٣) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (٢ / ١١).

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٢ / ٢٨).

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٥ / ٢٢).

ومنهم: الإمام القاسمي، فعند تفسيره لقوله – تعالى –: "﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (سورة البقرة الآية: ٩٥) قال: قوله – تعالى –: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي بهم. تذييل للتهديد، والتنبيه على أنهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم، ونفيه عمن سواهم"(١).

وعند تفسيره لقوله – تعالى –: " ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ (سورة آل عمران الآية: ١٩٢) قال: قوله – تعالى –: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ تذييل لإظهار نهاية فظاعة حالهم، ببيان خلود عذابهم، بفقدان من ينصرهم، ويقوم بتخليصهم"(٢).

وبذلك نلاحظ مدي عناية المفسرين بالتذييل، لما له من أهمية في فهم النص القرآني، ولذا اهتموا به في كتبهم، وبينوا الغرض منه.

(١) محاسن التأويل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) (١ / ٣٥٤) المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت الطبعة الأولى – ١٤١٨ هـ.

(٢) محاسن التأويل القاسمي (٢ / ٤٨٢).

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: التعريف بسورة الأحزاب.**
- **المطلب الثاني: أسرار التذييل في السورة الكريمة.**

المطلب الأول: التعريف بسورة الأحزاب

١- اسم السورة الكريمة:

سميت السورة "الأحزاب" في المصاحف، وكتب التفسير والسنة، ولا يعرف لها اسم غيره(١). **ووجه تسميتها بهذا الاسم**: سميت سورة الأحزاب لاشتمال الكلام فيها على واقعة الخندق، أو الأحزاب الذين تجمعوا حول المدينة، من مشركي قريش وغطفان، بالتواطؤ مع المنافقين ويهود بني قريظة، لحرب المسلمين ومحاولة استئصالهم، فردّ الله كيدهم وكفى الله المؤمنين القتال(٢).

٢- نوع السورة، وعدد آياتها:

وهي مدنية بالاتفاق(٣)

عدد آياتها: " سبعون وثلاث آيات في جميع العدد ليس فيها اختلاف"(٤).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢١/ ٢٤٥).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢١/ ٢٤٥)، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج لوهبة بن مصطفى الزحيلي (٢١ / ٢٢٥).

(٣) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ) (٣ / ٦٠٥) المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) (٤ / ٣٦٧) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢١ / ٢٤٥).

(٤) مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السّوَرِ لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) (٢/ ٣٦٩) دار النشر: مكتبة المعارف – الرياض الطبعة الأولى =

٣- ما اشتملت عليه السورة الكريمة: اشتملت هذه السورة على بعض الآداب الاجتماعية، والأحكام التشريعية وأخبار في السيرة عن غزوتي الأحزاب، وبني قريظة، وعن المنافقين.

(١) الآداب الاجتماعية فأهمها: آداب الدعوة إلى الولائم، والحجاب وعدم التبرج، وتعظيم النبي – صلّى الله عليه وسلّم– في بيته ومع الناس، والقول السديد.

(٢) الأحكام الشرعية فكثيرة: منها الأمر بتقوى الله، وعدم طاعة الكافرين والمنافقين، ووجوب اتباع الوحي، وحكم الظهار، وإبطال عادة التبني، وعادة التوريث بالحلف أو الهجرة، وجعل الرحم والقرابة أساس الميراث، وفرض الحجاب الشرعي، وتطهير المجتمع من مظاهر التبرج الجاهلية، وعدم إلزام المطلقة قبل الدخول بالعدة، وتخيير نساء النبي– صلّى الله عليه وسلّم– بين الفراق والبقاء معه، وتخصيص زوجاته بمضاعفة الأجر والثواب عند الطاعة، ومضاعفة العذاب عند المعصية، وتحريم إيذاء الله والرسول – صلّى الله عليه وسلّم – والمؤمنين، وخطورة أمانة التكليف، وعقاب المسيء وإثابة المحسن.

(٣) أخبار السيرة: ففي السورة بيان توضيحي عن (غزوة الأحزاب) أو (غزوة الخندق) وغزوة بني قريظة، ونقضهم العهد مع النبي– صلّى الله عليه وسلّم– ، وكشف فضائح المنافقين، والتحذير من مكائدهم، وتهديدهم مع المرجفين في المدينة على جرائمهم بالطرد والتعذيب، وتذكير المؤمنين بنعم الله العظمى التي

١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م، والبيان في عدّ آي القرآن لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ) (١/ ٢٠٨) المحقق: غانم قدوري الحمد الناشر: مركز المخطوطات والتراث – الكويت الطبعة الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

أنعم بها عليهم في وقعة الخندق بعد اشتداد الخطب عليهم، ورد كيد أعدائهم بالملائكة والريح، حتى صار ذلك معجزة خارقة للعادة، وبيان قصة زيد بن حارثة[١] مولى النبي – صلّى الله عليه وسلّم–، وانفصاله عن زينب بنت جحش – رضى الله عنها – قبل أن يتزوجها النبي – صلّى الله عليه وسلّم–[٢].

٤– مناسبة سورة الأحزاب لما قبلها:

الصلة بين سورة الأحزاب وسورة السجدة: صلة جلية واضحة، حيث وجه اتصالها بما قبلها: تشابه مطلع هذه ومقطع تلك؛ فإن تلك ختمت بأمر النبي – صلى الله عليه وسلم– بالإعراض عن الكافرين، وانتظار عذابهم، ومطلع هذه الأمر

---

(١) زيد بْن حارثة بْن شراحيل بْن كعب ابن عبد العزى بْن امرئ القيس بْن عامر بْن النعمان بْن عامر بْن عبد ود بْن عوف بْن كنانة بْن بكر بْن عوف بْن عذرة بْن زيد اللات بْن رفيدة بْن ثور بْن كلب بْن وبرة بْن تغلب بْن حلوان بْن عمران بْن لحاف بْن قضاعة هكذا نسبه ابن الكلبي وغيره، وهو مولى رَسُول اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أشهر مواليه، قال ابن عمر: ما كنا ندعو زيد بْن حارثة إلا زيد بْن مُحَمَّد، حتى أنزل اللَّه– تعالى–: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾ (سورة الأحزاب الآية: ٥) وآخى رَسُول اللَّهِ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بينه وبين حمزة بْن عبد المطلب – رضي الله عنهما– وشهد زيد بْن حارثة بدرًا، وشهد له رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالشهادة، ولم يسم الله، – سبحانه وتعالى–، أحدًا من أصحاب النَّبِيّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وأصحاب غيره من الأنبياء إلا زيد بْن حارثة. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) (٢ / ٣٥٠) بإختصار المحقق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة الأولى سنة النشر: ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م.

(٢) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للزحيلى (٢١ / ٢٢٦).

بتقوى الله، وعدم طاعة الكافرين والمنافقين، واتباع ما أوحي إليه من ربه، والتوكل عليه، فصارت كالتتمة لما ختمت به تلك، حتى كأنهما سورة واحدة[١].

ومع أن هذه السورة مدنية، ومع أن السورة التي قبلها (السجدة) مكية، ومع الفاصل الزمنى الممتد بينهما، فقد اتصلت السورتان بعضهما ببعض، والتقى ختام السابقة منهما ببدء التالية، حتى لكأنهما سورة واحدة، وهذا مما يدل على أن ترتيب السّور في المصحف توقيفي كترتيب الآيات في السور، وهذا يعنى أن الصورة التي نزل عليها القرآن تختلف جمعا وترتيبا- وإن لم تختلف مادة وموضوعا- عن الصورة التي انتظم عليها نظام القرآن، بعد أن تم نزوله، في العرضة الأخيرة التي كانت بين جبريل وبين النبي- صلوات الله وسلامه عليهما-[٢].

(١) ينظر: أسرار ترتيب القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ص ١٢٤ الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، والتفسير المنير للزحيلي (٢١/ ٢٢٥).

(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب (١١/ ٦٣٢).

المطلب الثاني: أسرار التذييل في سورة الأحزاب

الموضع الأول: قوله- تعالى-: " ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا﴾ (سورة الأحزاب الآية: ٦).

المعنى الإجمالي للآية: قوله- تعالى-: " ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ أي: أحقُّ، فله أن يحكُم فيهم بما يشاء، قال ابن عباس – رضي الله عنهما-: إذا دعاهم إلى شيء، ودعتْهم أنفسهم إلى شيء، كانت طاعتُه أولى من طاعة أنفُسهم، وهذا صحيح، فان أنفُسهم تدعوهم إلى ما فيه هلاكهم، والرسول- عليه الصلاة والسلام – يدعوهم إلى ما فيه نجاتهم.

قوله – تعالى-: ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ أي: في تحريم نكاحهنَّ على التأبيد، ووجوب إجلالهنَّ وتعظيمهنَّ، ولا تجري عليهنَّ أحكام الأُمَّهات في كل شيء، إذ لو كان كذلك لَمَا جاز لأحد أن يتزوج بناتِهنَّ، وَلَورِثْنَ المسلمين، ولجازت الخَلوة بهنَّ. وقد روى مسروق عن عائشة – رضي الله عنها – أن أمرأة قالت: يا أُمَّاه، فقالت: لستُ لكِ بأُمٍّ إنَّما أنا أُمُّ رجالكم فبان بهذا الحديث أن معنى الأُمومة تحريمُ نكاحهنَّ فقط...

قوله – تعالى-: ﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ والمعنى: أن ذوي القرابات بعضُهم أولى بميراث بعض من أن يَرِثوا بالإيمان والهجرة كما كانوا يفعلون قبل النسخ ﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ﴾ وهذا استثناء ليس من الأول[1]، والمعنى: لكن فِعلُكم إلى أوليائكم معروفاً جائز، وذلك أن الله – تعالى- لمَّا نسخ التوارث بالحلف والهجرة، أباح

(١) يعنى من الاستثناء المنقطع الذي لا يكون المستثنى فيه من جنس المستثنى منه، وتكون إلا بمعنى (لكن).

الوصية للمعاقدين، فللإنسان أن يوصيَ لمن يتولاَّه بما أحب من ثلثه، فالمعروف ها هنا: الوصية[١].

جملة التذييل: قوله – تعالى –: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ يقول الإمام ابن عاشور: " وجملة ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ تذييل لهذه الأحكام وخاتمة لها مؤذنة بانتهاء الغرض من الأحكام التي شرعت من قوله – تعالى –: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾ (سورة الأحزاب جزء من الآية: ٥) إلى هنا"[٢].

فائدة جملة التذييل، وصلتها بالآية: قال ابن كثير: "﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ أي هذا الحكم، وهو أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض، حكم من الله مقدر مكتوب في الكتاب الأول الذي لا يبدل ولا يغير، وإن كان – تعالى– قد شرع خلافه في وقت، لما له في ذلك من الحكمة البالغة، وهو يعلم أنه سينسخه إلى ما هو جار في قدره الأزلي وقضائه القدري الشرعي، والله أعلم"[٣]، قال أبو حيان "قوله – تعالى –: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ الآيتين ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾: إما اللوح، وإما القرآن، ﴿مَسْطُورًا﴾: أي مثبتا بالأسطار "[٤].

---

(١) ينظر: زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) (٣ / ٤٤٨) بتصرف يسير المحقق: عبد الرزاق المهدي
الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢١ / ٢٧٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٣٤١).

(٤) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) (٨ / ٤٥٤، ٤٥٥) المحقق: صدقي محمد جميل
الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة ١٤٢٠ هـ.

من أسرار التذييل بجملة ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾.

١- الإشارة بقوله ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى المذكور من الأحكام المشروعة، فكان هذا التذييل أعم مما اقتضاه قوله ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، وبهذا الاعتبار لم يكن تكراراً له؛ ولكنه يتضمنه ويتضمن غيره، فيفيد تقريره وتوكيده تبعا، وهذا شأن التذييلات.

٢- التعريف في ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ للعهد، أي: كتاب الله، أي: ما كتبه على الناس وفرضه كقوله- تعالى -: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ (سورة النساء جزء من الآية: ٢٤)، فاستعير الكتاب للتشريع بجامع ثبوته وضبطه التغيير والتناسي، وهذا مثل قوله – تعالى-: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ (سورة الأنفال جزء من الآية ٧٥)، فالكتاب: استعارة مكنية، وحرف الظرفية ترشيح للاستعارة.

٣- المسطور: المكتوب في سطور، وهو ترشيح أيضا للاستعارة[١]، وفيه تخييل للمكنية[٢].

٤- فعل (كان) في قوله – تعالى -: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ لتقوية ثبوته في الكتاب مسطورا، لأن (كان) إذا لم يقصد بها أن اسمها اتصف بخبرها في الزمن الماضي؛ كانت للتأكيد

---

(١) الاستعارة المرشحة: ما ذكر فيها ما يلائم المستعار منه "أي: المشبه به"، وهذا مما يزيد الاستعارة قوة مبالغة، ذلك أن مبنى الاستعارة... على تناسي التشبيه، وادعاء أن المشبه هو المشبه به عينه، لا شيء سواه، والترشيح الذي هو ذكر ملائم المشبه به: إمعان في هذا التناسي وغلو في دعوى الاتحاد، وكأن ليس هناك استعارة، بل ولا تشبيه، حتى إنك لتجد الشاعر أو الناثر، يمعن في إنكارهما، ويخيل للسامع أن الأمر محمول على حقيقته، لا تجوز فيه. ينظر: المنهاج الواضح للبلاغة لحامد عوني (٥ / ١٣٢) الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث.

(٢) الاستعارة المكنيّة: "هي التي لم يُصَرَّح فيها باللّفظ المستعار، وإنما ذُكِرَ فيها شيءٌ من صفاته أو خصائصه أو لوازمه القريبة أو البعيدة، كنايةً به عن اللّفظ المستعار". البلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني (٢ / ٢٤٣).

غالبا مثل﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (سورة الأحزاب جزء من الآية: ٥) أي: لم يزل كذلك(١).

الدروس المستفادة من جملة التذييل:

١- أن قضاء الله – تعالى – لا تغيير فيه ولا تبيدل.

٢- أن الله – تعالى – إذا شرع شيئاً ثم شرع خلافه بعد ذلك، فقد سبق في علمه الأزلي أنه سينسخه – سبحانه – لحكمة تقضيها مصالح العباد، أو من أجل التيسير عليهم، أو من أجل الاختبار والابتلاء لعباده، والله- تعالى- وأعلم.

الموضع الثاني: قوله- تعالى-: " ﴿وَلَقَدْ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ (سورة الأحزاب الآية: ١٥).

المعنى الإجمالي للآية: " لقد كان هؤلاء الذين يستأذنون رسول الله – صلى الله عليه وسلم- في الانصراف عنه، ويقولون ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ (سورة الأحزاب جزء من الآية: ١٣). عاهدوا الله من قبل ذلك أن لا يولوا عدوهم الأدبار إن لقوهم في مشهد لرسول الله – صلى الله عليه وسلم- معهم، فما أوفوا بعهدهم ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ يقول: فيسأل الله ذلك من أعطاه إياه من نفسه، وذكر أن ذلك نزل في بني حارثة لِمَا كان من فعلهم في الخندق، بعد الذي كان منهم بأحد"(٢).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢١ / ٢٧٢).

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) (١٩ / ٤٦) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، الدكتور عبد السند حسن يمامة الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

جملة التذييل: قوله – تعالى –: ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ يقول الإمام ابن عاشور: " ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ تذييل لجملة ﴿وَلَقَدْ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَۚ﴾"(١).

فائدة جملة التذييل، وصلتها بالآية: قال أبو حيان: "﴿عَٰهَدُواْ﴾ أُجرِيَ مُجرَى اليمين، ولذلك يلتقي بقوله: ﴿لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَۚ﴾، وجواب هذا القسم جاء على الغيبة عنهم على المعنى: ولو جاء كما لفظوا به، لكان التركيب: لا نولي الأدبار. والذين عاهدوا: بنو حارثة، وبنو مسلمة، وهما الطائفتان اللتان هَمَّا بالفشل في يوم أحد، ثم تابوا، وعاهدوا أن لا يفروا، فوقع يوم الخندق من بني حارثة ذلك الاستئذان، قال ابن عباس: عاهدوا بمكة ليلة العقبة أن يمنعوه مما يمنعون منهم أنفسهم، وقيل: ناس غابوا عن وقعة بدر قالوا: لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن من قبل: أي من قبل هذه الغزوة، غزوة الخندق ﴿لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَۚ﴾: كناية(٢) عن الفرار، والانهزام، سئلوا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به، وفي ذلك تهديد ووعيد"(٣).

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (٢١ / ٢٨٩).

(٢) الكناية لغة: ما يتكلم به الإنسان، ويريد به غيره، وهي: مصدر كنيت، أو كنوت بكذا، عن كذا، إذا تركت التصريح به، واصطلاحاً: لفظ أريد به غيرُ معناهُ الذي وضع له، مع جواز إرادة المعنى وتنقسم الكناية بحسب المعنى الذي تشير إليه إلى ثلاثة أقسام: ١– كناية عن صفةٍ، وتعرف كناية الصفة بذكر الموصوف: ملفوظاً أو ملحوظاً من سياق الكلام. ٢– كناية عن موصوف، وتعرف بذكر الصفة مباشرة، أو ملازمة، ومنها: قولهم (هو حارس على ماله) كنوا به عن البخيل الذي يجمع ماله، ولا ينتفع به٣– كناية عن نسبة. ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ) (ص ٢٨٦– ٢٨٨) ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، والكناية في الآية الكريمة: كناية عن صفة (الفرار) (الجبن، الخوف) أى صفة تدل على المعنى.

(٣) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٨/ ٤٦٢).

من أسرار التذييل بجملة ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾. والتذييل شمل هنا عدداً من الأسرار منها ما يلي:

١- تأكيد هذا الخبر[١] بلام القسم، وحرف التحقيق، وفعل كان، مع أن الكلام موجه إلى المؤمنين تنزيلا للسامعين منزلة من يتردد في أنهم عاهدوا الله على الثبات.

٢- زيادة ﴿مِن قَبْلُ﴾ للإشارة إلى أن ذلك العهد قديم مستقر، وهو عهد يوم أحد.

٣- جملة ﴿لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ﴾، بيان لجملة ﴿عَـٰهَدُوا۟﴾، وتولية الأدبار: كناية عن الفرار فإن الذي استأذنوا لأجله في غزوة الخندق أرادوا منه الفرار، ألا ترى قوله- تعالى -: ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (سورة الأحزاب جزء من الآية: ١٣)، والفرار مما عاهدوا الله على تركه.

٤- المراد بعهد الله: كل عهد يوثقه الإنسان مع ربه،... والمسئول: كناية عن المحاسب عليه، وهذا تهديد، فقد فطرأ على نفر من بني حارثة نفاق، وضعف في الإيمان فذكرهم الله بذلك، وأراهم أن منهم فريقا قلبا، لا يرعى عهدا ولا يستقر لهم اعتقاد، وأن ذلك لضعف يقينهم، وغلبة الجبن عليهم، حتى يدعوهم إلى نبذ عهد الله، وهذا تنبيه للقبيلين ليزجروا من نكث منهم[٢].

---

(١) الآية الكريمة فيها أكثر من مؤكد (اللام) (قد) (كان) بدلالتها على المعنى الدال على التحقق والثبوت، وهذا النوع يسمى: الخبر الإنكاري، " فإذا كان المخاطب منكرا، فإنه لا بد من التوكيد، وهذا التوكيد، يختلف قلة وكثرة على وفق أحوال الإنكار، فإن كان إنكاره إنكارًا غير مستحكم في نفسه أكد بمؤكد واحد، وإن كان مستحكمًا تضاعفت عناصر التوكيد بمقدار تصاعد حالة الإنكار؛ لأن وظيفة الخبر حينئذ هي تثبيت هذا المعنى في تلك النفس الرافضة له، فلا مفر من أن تكون قوة العبارة، ووثاقتها ملائمة لحال النفس قادرة على الإقناع". خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني لمحمد محمد أبو موسى ص ٨١ الناشر: مكتبة وهبة الطبعة السابعة.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢١ / ٢٨٩) بتصرف يسير.

الدروس المستفادة من جملة التذييل:

في جملة التذييل دلالة على أنه – سبحانه– يسأل من نقض العهد في الآخرة، ومن وفي، فيجزون على وفاء العهد ونقضه(١).

الموضع الثالث: قوله– تعالى–: " ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ (سورة الأحزاب الآية: ٢٥).

المناسبة والمعنى الإجمالي للآية:

لما ذكرهم – سبحانه – نعمته بما أرسل على أعدائهم من جنوده، وبين أحوال المنافقين والصادقين وما له في ذلك من الأسرار، وختم بهاتين الصفتين، قال مذكراً بأثرهما فيما خرقه من العادة بصرف الأعداء على كثرتهم وقوتهم، على حالة لا يرضاها لنفسه عاقل، عاطفاً على قوله في أول السورة والقصة ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ (سورة الأحزاب جزء من الآية: ٩)، ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ﴾ أي بما له من صفات الكمال، أى: ورد الله الذين كفروا بغيظهم، أي: مع غيظهم، لم يشفوا صدرا، ولم يحققوا أمرا، وكفى الله المؤمنين القتال، أي: لم يحوجهم إلى قتال، وكان الله قويا غير محتاج إلى قتالهم، عزيزا قادرا على استئصال الكفار وإذلالهم(٢).

---

(١) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) (٨ / ٣٦٤) بتصرف يسير المحقق: د. مجدي باسلوم الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان الطبعة الأولى١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي، خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) (٢٥/ ١٦٤) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثالثة ١٤٢٠ هـ، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) (١٥/ ٣٣١، ٣٣٢) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

جملة التذييل: قوله – تعالى –: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ هي تأكيد على غلبة الله – عز وجل –.

فائدة جملة التذييل، وصلتها بالآية: يقول الطاهر بن عاشور: "وجملة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾، تذييل لجملة ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إلى آخرها"(١).

من أسرار التذييل بجملة: " ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾.

١– العزة: العظمة والمنعة قال الطاهر بن عاشور: و"(ال) في (العزة) للعهد، أي العزة المعروفة لأهل الجاهلية، التي تمنع صاحبها من قبول اللوم، أو التغيير عليه، لأن العزة تقتضي معنى المَنَعة، فأخذ العزة له كناية عن عدم إصغائه لنصح الناصحين"(٢).

٢– ذِكرُ فعل (كان) للدلالة على أن العزة والقوة وصفان ثابتان لله تعالى، ومن تعلقات قوته وعزته أن صَرَفَ ذلك الجيش العظيم خائبين مفتضحين، وألقى بينه وبين أحلافه من قريظة الشك، وأرسل عليهم الريح والقر، وهدى نعيما بن مسعود الغطفاني(٣)

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢١ / ٣١١).

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢ / ٢٧١).

(٣) نعيم بْن مَسْعُود بْن عامر الأشجعي، هاجر إلى رسول الله– صلى الله عليه وسلم– فِي الخندق، وَهُوَ الَّذِي خَذَّلَ المشركين وبني قريظة حَتَّى صرف الله المشركين، بعد أن أرسل عليهم ريحًا وجنودًا لم يروها. خبره فِي تخذيل بني قريظة والمشركين... سكن نعيم بْن مَسْعُود المدينة، ومات فِي خلافة عثمان. روى عنه ابنه سلمة ابن نعيم. وقيل: بل قتل نعيم بْن مَسْعُود فِي الجمل الأول قبل قدوم علي مَعَ مجاشع ابن مَسْعُود السلمي، وحكيم بْن جبلة، ونعيم بْن مسعود الأشجعي. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) (٤ / ١٥٠٩) بتصرف يسير المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

إلى الإسلام دون أن يشعر قومه، فاستطاع النصح للمسلمين بالكيد للمشركين، ذلك كله معجزة للنبي- صلى الله عليه وسلم-(١).

الدروس المستفادة من جملة التذييل: في جملة التذييل دلالة أن الله – تعالى – قويٌّ على كل ما يريده، إذا قال له: كن فيكون عزيزاً قاهراً غالباً لا يغالبه أحد من خلقه: ولا يعارضه معارض في سلطانه وجبروته(٢).

الموضع الرابع: قوله – تعالى –: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ (سورة الأحزاب الآية: ٣٦).

المناسبة والمعنى الإجمالي للآية: لما كان الله – سبحانه- قد قدم قوله: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية، فعلم قطعاً أنه تسبب عنها ما تقديره: وما كان لمؤمن ولا مؤمنة لأن يكون له ولي غير النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فطوى ذلك للعلم به، واستدل على مضمون الآية وما قبلها بقصة الأحزاب، وأتبعها نتيجة ذلك مما ذكر تأديب الأزواج له- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وتهذيبهن لأجله، وتطهير أهل بيته وتكريمهم حتى ختم – سبحانه- بالصفات العشر التي بدأها بالإسلام الذي ليس معه شيء من الإباء، وختمها بأنَّ ذكر الله يكون ملء القلب والفم وهو داعٍ إلى مثل ذلك لأنه سبب الإسلام، عَطَفَ على مسبب آية الولاية ما يقتضيه كثرة الذكر من قوله – تعالى –: ﴿وَمَا

(١) ينظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢١ / ٣١١).

(٢) ينظر: فتحُ البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) (١١/ ٧١) عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت عام النشر: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

كَانَ﴾[1]، أي ولم يكن لمؤمن بالله ورسوله، ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله في أنفسهم قضاء أن يتخيروا من أمرهم غير الذي قضى فيهم، ويخالفوا أمر الله وأمر رسوله وقضاءهما فيعصوهما، ومن يعص الله ورسوله فيما أمرا أو نهيا﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ يقول: فقد جار عن قصد السبيل، وسلك غير سبيل الهدي والرشاد، وذكر أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش – رضى الله عنها – حين خطبها رسول الله – صلى الله عليه وسلم– على فتاه زيد بن حارثة – رضى الله عنه– فامتنعت من إنكاحه نفسها...، وذلك أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– انطلق يخطب على فتاه زيد بن حارثة، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية فخطبها، فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: «فانكحيه»، فقلت: يا رسول الله أَؤُمرُ في نفسي، فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ قالت: قد رضيته لي يا رسول الله مَنكحاً؟ قال: «نعم»، قالت: إذن لا أعصي رسول الله، قد أنكحته نفسي[2].

جملة التذييل: قوله – تعالى –: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾.

فائدة جملة التذييل، وصلتها بالآية: يقول الطاهر بن عاشور: "﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ تَذْيِيلُ تَعْمِيمٍ لِلتَّحْذِيرِ مِنْ مُخَالَفَةِ الرَّسُولِ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– سَوَاءٌ فِيمَا هُوَ فِيهِ الْخِيَرَةُ، أَمْ كَانَ عَنْ عَمْدٍ لِلْهَوَى فِي الْمُخَالَفَةِ"[3].

من أسرار التذييل بجملة: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾. قال الطاهر بن عاشور: " ١– تعقيب الثناء على أهل خصال هي من طاعة الله، بوجوب

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (١٥ / ٣٥٤).

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (١٩ / ١١٢).
(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٢/ ٢٨).

طاعة الله والرسول – صلى الله عليه وسلم–، فهذه الآية جاءت بعد جملة من الصفات الحميدة، التى متى تخلق بها مؤمن، فإن له عند الله مغفرةً وأجراً عظيماً، ثم تأتي هذه الآية تؤكد أنه لا يسع مؤمناً أن يخالف أمر الله ورسوله فيما أمرا به أو نهيا عنه فلا اختيار حينئذ، بل هو الإذعان والإنقياد ثم يأتي هذا التذييل تشديداً علي من خالف شيئاً من ذلك، وسوى في ذلك بين الرجال والنساء، أعقبه ببيان أن طاعة الرسول– صلى الله عليه وسلم – فيما يأمر به ويعتزم الأمر هي طاعة واجبة، وأنها ملحقة بطاعة الله، وأن صنفي الناس الذكور والنساء في ذلك سواء، كما كانا سواء في الأحكام الماضية.

٢– إقحام كان في النفي أقوى دلالة على انتفاء الحكم؛ لأن فعل (كان) لدلالته على الكون، أي الوجود يقتضي نفيه انتفاء الكون الخاص برمته.

٣– المصدر المستفاد من (أن يكون لهم الخيرة) في محل رفع اسم كان المنفية وهي كان التامة.

٤– قضاء الأمر تبيينه والإعلام به، قال– تعالى–: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ﴾ (سورة الحجر الآية: ٦٦)، ومعنى إذا قضى الله ورسوله؛ إذا عزم أمره، ولم يجعل للمأمور خيارا في الامتثال، فهذا الأمر هو الذي يجب على المؤمنين امتثاله.

٥– ذكر اسم الجلالة هنا للإيماء إلى أن طاعة الرسول – عليه الصلاة والسلام – طاعة لله، قال – تعالى–: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ (سورة النساء جزء من الآية: ٨٠).

٦- الخِيرةُ: اسم مصدر[١] تَخَيَّر، كالطِيَرة اسم مصدر تَطَيَّر، قيل: ولم يُسمع في هذا الوزن غيرهما.

٧- ﴿مِنۡ﴾ تبعيضيه ﴿أَمۡرِهِمۡۗ﴾ بمعنى شأنهم وهو جنس، أي أمورهم، والمعنى: ما كان اختيار بعض شؤونهم ملكا يملكونه، بل يتعين عليهم اتباع ما قضى الله ورسوله- صلى الله عليه وسلم- فلا خيرةَ لهم.

٨- قوله- تعالى -: ﴿لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ﴾ لما وقعا في حيز النفي يعمان جميع المؤمنين والمؤمنات، فلذلك جاء ضميرها جمع، لأن المعنى: ما كان لجمعهم ولا لكل واحد منهم الخيرة كما هو شأن العموم "[٢].

٩- جملة ﴿فَقَدۡ ضَلَّ﴾ تعليل لجزاء الشرط المحذوف تقديره: يهلك فقد ضلّ، والفاء رابطة للجواب لأنه اقترن بقد وضل فعل ماض وفاعله مستتر أيضا وضلالا مفعول مطلق ومبينا صفة[٣].

الدروس المستفادة من جملة التذييل: إذا قضى الله ورسوله أمرا، لم يكن لمؤمن أن ينازع في هذا الأمر، أو يتوقف في إمضائه، أو يبدّل في صفته.. وإلّا فهو ليس من

---

(١) اسم المصدر: هو ما دل على معنى المصدر، ونقص عن حروف فعله لفظاً وتقديراً من غير تعويض كسلام وكلام، فقياس مصدرهما تسليم وتكليم. ومثلهما عطاء وعشرة وعوْن وثواب. اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل لمحمد علي السَّراج ص: ٥١ مراجعة: خير الدين شمسي باشا الناشر: دار الفكر – دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٢ / ٢٨).

(٣) ينظر: إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: ١٤٠٣هـ) الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت) (٨/ ١٩) الطبعة الرابعة ١٤١٥ هـ، و التفسير المظهري للمظهري، محمد ثناء الله (٧ / ٣٤٦).

الإيمان في شيء.. إنه حينئذ يكون عاصيا لله ولرسول الله، خارجا عن سلطانهما، لأنه ترك الصراط المستقيم الموصلة إلى كرامة الله، إلى غيرها، من الطرق الموصلة للعذاب الأليم، فذكر أولا السبب الموجب لعدم معارضته أمر الله ورسوله، وهو الإيمان، ثم ذكر المانع من ذلك، وهو التخويف بالضلال، الدال على العقوبة والنكال(١).

الموضع الخامس: قوله – تعالى –: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (سورة الأحزاب الآية: ٣٧).

المعنى الإجمالي للآية: واذكر إذ تقول لزيد بن حارثة – رضى الله عنه – الذى أنعم الله عليه بهداية الإسلام، وأنعمت عليه بالتربية والعتق، أمسك عليك زوجك – زينب بنت جحش – واتق الله فيها، واصبر على معاشرتها، ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ﴾ ما الله مظهره من أنه سيطلقها وأنك ستتزوجها، وتخاف أن يُعيّرك الناس، والله هو الجدير بأن تخافه، ولو كان في ذلك مشقة عليك، فلما قضى زيد منها حاجته، وطلقها تخلصاً من ضيق الحياة معها؛ ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ لتكون قدوة فى إبطال هذه العادة المرذولة، ولا يتحرج المسلمين بعد ذلك من التزوج بزوجات من كانوا يتبنونهم بعد طلاقهن، وكان أمر الله الذى يريده واقعاً لا محالة(٢).

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ص ٦٦٥، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب (١١/ ٧١٥).

(٢) ينظر: المنتخب في تفسير القرآن الكريم المؤلف: لجنة من علماء الأزهر ص ٦٣٨ الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، طبع مؤسسة الأهرام الطبعة الثامنة عشر ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.

والمأثور الصحيح في هذه الحادثة: أن زيد بن حارثة – رضى الله عنه – بقيت عنده زينب سنين – رضى الله عنها – فلم تلد له، فكان إذا جرى بينه وبينها ما يجري بين الزوجين تارة من خلاف؛ أدلت عليه بسُؤدَدِهَا، وغضت منه بولايته، فلما تكرر ذلك عزم على أن يطلقها، وجاء يعلم رسول الله – صلى الله عليه وسلم– بعزمه على ذلك لأنه تزوجها من عنده(١).

جملة التذييل: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾.

فائدة جملة التذييل، وصلتها بالآية: قال الألوسي: " والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من تزويج زينب – رضي الله تعالى عنها– "(٢).

وقال الطاهر بن عاشور: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ تذييل لجملة: ﴿زَوَّجْنَـٰكَهَا﴾.

من أسرار التذييل بجملة: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾

١– أمر الله يجوز أن يراد به ما أمر به من إباحة تزوج من كن حلائل الأدعياء، فهو بمعنى الأمر التشريعي فيه.

٢– معنى مفعولا أنه متبع ممتثل، فلا يتنزه أحد عنه، قال– تعالى–: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ (سورة الأعراف جزء من الآية: ٣٢).

٣– يجوز أن يراد الأمر التكويني وهو ما علم أنه يكون وقدر أسباب كونه، فيكون معنى مفعولا واقعا، والأمر من إطلاق السبب على المسبب، والمفعول هو المسبب، وتزوج النبي– صلى الله عليه وسلم– زينب من أمر الله بالمعنيين(٣).

الدروس المستفادة من جملة التذييل: وَكانَ أَمْرُ اللَّهِ، أي ما يريد تكوينه من الأمور مقدر واقع لَا محالة، فلا مناص منه.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٢/ ٣١).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي (١١/ ٢٠٦).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٩، ٤٠).

الموضع السادس: قوله – تعالى –: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (سورة الأحزاب الآية: ٤٣).

المعنى الإجمالي للآية: قال العلامة أبو السعود: " ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾ استئنافٌ جارٍ مجرى التعليل لما قبله من الأمرينِ، فإنَّ صلاتَهُ – تعالى– عليهم مع عدمِ استحقاقِهم لها، وغناهُ عن العالمينَ، ممَّا يُوجبُ عليهم المُداومةَ علَى ما يستوجبُه – تعالى– عليهم من ذكرِه – تعالى– وتسبيحِه"(١)، قال القاسمي: " والصلاة: الرحمة والعطف، والمعنى: هو الذي يترحم عليكم ويترأف، حيث يدعوكم إلى الخير، ويأمركم بإكثار الذكر، والتوفر على الصلاة والطاعة﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي ظلمة الكفر، والمعاصي، والشبهات، ومساوئ العادات، ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي: نور الإيمان، والسنّة، والطاعة، ومحاسن الأخلاق، ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ أي: حيث لم يتركهم يتخبطون في عمياء الضلالة والجهالة، بل أنار لهم السبل وأوضح لهم المعالم، وذكر الملائكة تنويها بشأنهم وشأن المؤمنين، وأن للملأ الأعلى عناية وعطفا وترحما، بالاستغفار والدعاء والثناء على الجميل، كقوله – تبارك وتعالى–: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾" (سورة غافر الآية: ٧)(٢).

جملة التذييل: قال الطاهر بن عاشور: " وجملة ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ تذييل"(٣).

فائدة جملة التذييل وصلتها بالآية: **قال الألوسي**: " ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ اعتراض مقرر لمضمون ما قبله، أي كان – سبحانه– بكافة المؤمنين الذين أنتم من زمرتهم كامل الرحمة، ولذا يفعل بكم ما يفعل بالذات، وبالواسطة، أو كان بكم رحيما على أن المؤمنين

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (٧ / ١٠٧).
(٢) محاسن التأويل للقاسمي (٨ / ٩٠، ٩١).
(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٢/ ٥٠).

مظهر وضع موضع المضمر مدحا لهم وإشعارا بعلة الرحمة"[١]، وهذا ما أوضحه الإمام الشوكاني حيث قال: " أخبر – سبحانه– برحمته للمؤمنين تأنيسا لهم، وتثبيتا فقال: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ وفي هذه الجملة تقرير لمضمون ما تقدمها "[٢].

وبينه كذلك أبو السعود فقال: "وقوله– تعالى –: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ اعتراض مقرر لمضمون ما قبله، أي: كان بكافة المؤمنين الذين أنتم من زمرتم رحيما، ولذلك يفعل بكم ما يفعل من الاعتناء بإصلاحكم بالذات وبالواسطة ويهديكم إلى الإيمان والطاعة، أو كان بكم رحيما، على أن المؤمنين مُظْهَرٌ وضع موضع المُضْمَر، مدحا لهم وإشعارا بعلة الرحمة"[٣].

من أسرار التذييل بجملة ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

دل الإخبار عن رحمته بالمؤمنين بإقحام:

١– قال الطاهر بن عاشور: " فعل (كان) وخبرها لما تقتضيه (كان) من ثبوت ذلك الخبر له – تعالى– وتحققه، وأنه شأن من شؤونه المعروف بها.

٢– رحمته بالمؤمنين أعم من صلاته عليهم، لأنها تشمل إسداء النفع إليهم، وإيصال الخير لهم بالأقوال، والأفعال، والألطاف"[٤]، قال الشيخ الشعراوي: " ولكن إنْ كان – سبحانه– رحيماً بالمؤمنين، فما بال الكافرين؟ قالوا: هو – سبحانه – بالكافرين رحمان، فالله – تعالى– رحمان الدنيا، ورحيم الآخرة؛ لأن رحمان الدنيا يعني أن خيره يعُمُّ الجميع

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي (١١ / ٢٢٢).

(٢) فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) (٤ / ٣٣١) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (٧ / ١٠٧).

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٢/ ٥٠).

المؤمن والكافر، والطائع والعاصي، أما في الآخرة فتتجلَّى صفة الرحيم؛ لأن رحمته في الآخرة تخصُّ المؤمنين دون غيرهم"(١).

٣- قال أبو حيان: " وصف الله – تعالى- بالرحمة مجاز عن إنعامه على عباده، ألا ترى أن الملك إذا عطف على رعيته ورق لهم، أصابهم إحسانه فتكون الرحمة إذ ذاك صفة فعل"(٢).

الدروس المستفادة من جملة التذييل:

قال الزحيلي: " كان الله وما يزال رحيما، تام الرحمة بالمؤمنين من عباده، في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا: فإن الله يهديهم إلى الحق الذي جهله غيرهم، ويبصّرهم الطريق الذي حاد عنه سواهم الى الكفر والابتداع الضالّ، وأما في الآخرة: فيؤمّنهم الله من الفزع الأكبر، ويظلّهم بمظلته الرحيمة، وتبشّرهم الملائكة بالفوز بالجنة والنجاة من النار، رأفة بهم، ومحبة لهم "(٣).

الموضع السابع: قوله – تعالى –: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ (سورة الأحزاب الآية: ٤٨).

المناسبة والمعنى الإجمالي للآية: لما أمره- سبحانه- بما يسر، نهاه عما يضر، فقال ذاكراً ثمرة النذارة ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم ﴿وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ﴾ إيذاءهم إياك، ولا تحتفل به، أو إيذاءك إياهم مجازاة، أو مؤاخذة على كفرهم، ولذلك قيل إنه منسوخ ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ فإنه يكفيكهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾

(١) تفسير الشعراوي – الخواطر لمحمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) (١٩ / ١٢٠٧٠) الناشر: مطابع أخبار اليوم.

(٢) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (١/ ٣١).

(٣) التفسير الوسيط للزحيلي (٣ /٢٠٧٥).

الناشر: دار الفكر – دمشق الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.

موكولاً إليه الأمر في الأحوال كلها، ولعله – تعالى– لما وصفه بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه، فحذف مقابل الشاهد وهو الأمر بالمراقبة، لأن ما بعده كالتفصيل له، وقابل المبشر بالأمر ببشارة المؤمنين، والنذير بالنهي عن مراقبة الكفار، والمبالاة بأذاهم، والداعي إلى الله بتيسيره بالأمر بالتوكل عليه، والسراج المنير بالاكتفاء به، فإن من أناره الله برهاناً على جميع خلقه؛ كان حقيقاً بأن يكتفى به عن غيره(١).

جملة التذييل: قال الطاهر بن عاشور: "﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ تذييل لجملة ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ "(٢).

فائدة جملة التذييل وصلتها بالآية: قال العلامة أبو السعود: " ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ موكولا إليه الأمور في كل الأحوال، وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لتعليل الحكم، وتأكيد استقلال الاعتراض التذييل، ولما وصف – صلى الله عليه وسلم – بنعوت خمسة، قوبل كل منها بخطاب يناسبه، خلا أنه لم يذكر مقابل الشاهد صريحا، وهو الأمر بالمراقبة ثقة بظهور دلالة مقابل المبشر عليه، وهو الأمر بالتبشير، وقوبل النذير بالنهي عن مداراة الكفار والمنافقين، والمسامحة في إنذارهم كما تحققته، وقوبل الداعي إلى الله بإذنه بالأمر بالتوكل عليه، من حيث إنه عبارة عن الاستمداد منه – تعالى– والاستعانة به، وقوبل السراج المنير بالاكتفاء به– تعالى– فإن من أيده الله –– تعالى– بالقوة القدسية ورشحه للنبوة، وجعله برهانا نيرا يهدي الخلق من ظلمات الغي إلى نور الرشاد، حقيق بأن يكتفي به عن كل ما سواه "(٣).

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) (٤ / ٢٣٤) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي
الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (١٥ / ٣٧٤).

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٢/ ٥٩).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (٧ / ١٠٨).

من أسرار التذييل بجملة ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾.

إن الله هو الوكيل الكافي في الوكالة، أي المجزي من توكل عليه ما وكله عليه، فالباء تأكيد[1]... والتقدير: كفى الله، ووكيلا تمييز، فقد جاءت هذه الجمل الطلبية مقابلة وناظرة للجمل الإخبارية من قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ شَـٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ (سورة الأحزاب الآيتان: ٤٥، ٤٦) فقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (سورة الأحزاب الآية: ٤٧) ناظرا إلى قوله: ﴿وَمُبَشِّرٗا﴾، وقوله: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَـٰفِرِينَ﴾ ناظر إلى قوله: ﴿وَنَذِيرٗا﴾، لأنه جاء في مقابلة بشارة المؤمنين[2].

الدروس المستفادة من جملة التذييل:

التوكل على الله في كل شؤونك وفي إتمام أمرك، وخذلان عدوك، وكفى بالله وكيلا توكل إليه الأمور المهمة، وتفوض إليه الشؤون فيقوم بها، ويسهلها على عبده، فمن فوض إليه أموره كفاه، ومن وكل إليه أحواله لم يحتج فيها إلى سواه[3].

الموضع الثامن: قوله – تعالى –: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ (سورة الأحزاب الآية: ٥٠).

المناسبة والمعنى الإجمالي للآية:

نداء رابع خوطب به النبي– صلى الله عليه وسلم – في شأن خاص به هو بيان ما أحل له من الزوجات والسراري، وما يزيد عليه وما لا يزيد، مما بعضه تقرير لتشريع له

---

(١) يعنى: زائدة للتأكيد.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٢/ ٥٩).

(٣) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٤ / ٣٣٢) بتصرف.

سابق، وبعضه تشريع له للمستقبل، ومما بعضه يتساوى فيه النبي – عليه الصلاة والسلام – مع الأمة، وبعضه خاص به أكرمه الله بخصوصيته مما هو توسعة عليه، أو مما روعي في تخصيصه به علو درجته، ولعل المناسبة لورودها عقب الآيات التي قبلها، أنه لما خاض المنافقون في تزوج النبي – صلى الله عليه وسلم – زينب بنت جحش وقالوا: تزوج من كانت حليلة متبناه، أراد الله أن يجمع في هذه الآية من يحل للنبي تزوجهن حتى لا يقع الناس في تردد، ولا يفتنهم المرجفون.

ولعل ما حدث من استنكار بعض النساء أن تُهدِيَ المرأة نفسَهَا لرجل، كان من مناسبات اشتمالها على قوله: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ الآية، ولذلك جمعت الآية تقرير ما هو مشروع، وتشريع ما لم يكن مشروعا لتكون جامعة للأحوال، وذلك أوعب وأقطع للتردد والاحتمال.

فأما تقرير ما هو مشروع فذلك من قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾ إلى قوله: ﴿وَبَنَاتِ خَالِكَ﴾، وأما تشريع ما لم يكن مشروعا فذلك من قوله: ﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ﴾ (سورة الأحزاب جزء من الآية: ٥٢). (١).

فقوله – تعالى –: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾ في معناها قولان أحدهما: أن المراد أزواجه اللاتي في عصمته حينئذ، كعائشة وغيرها، وكان قد أعطاهن مهورهن، والآخر: أن المراد جميع النساء، فأباح الله له أن يتزوج كل امرأة يعطى مهرها، وهذا أوسع من الأول﴿وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ﴾ أباح الله له مع الأزواج السراري بملك اليمين، ويعني بقوله: ﴿مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ﴾: الغنائم ﴿وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ﴾ يعني قرابته من جهة أبيه ومن جهة أمه، وكان له –عليه الصلاة والسلام– أعمام وعمات إخوة لأبيه، ولم يكن لأمه –عليه الصلاة والسلام – أخ ولا أخت،

وإنما يعني بخاله وخالاته عشيرة أمه وهم بنو زهرة، ولذلك كانوا يقولون نحن أخوال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، فمن قال: إن المراد بقوله ﴿أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾من كانت في عصمته: فهو عطف عليهن، وإباحة لأن يتزوج قرابته زيادة على من كان في عصمته، ومن قال: إن المراد جميع النساء، فهو تجريد منهن على وجه التشريف بعد دخول هؤلاء في العموم﴿ٱلَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ تخصيص تحرز به ممن لم يهاجر، كالطلقاء الذين أسلموا يوم فتح مكة ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً﴾ ﴿إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ أباح الله له – صلى الله عليه وسلم – من وهبت له نفسها من النساء، واختلف هل وقع ذلك أم لا؟ فقال ابن عباس: لم تكن عند النبي– صلى الله عليه وسلم – امرأة إلا بنكاح أو ملك يمين، لا بهبة نفسها، ويؤيد هذا قراءة الجمهور(إن وهبت) بكسر الهمزة أي إن وقع، وقيل: قد وقع ذلك، وهو على هذا القول قرئ (أن وهبت) بفتح الهمزة، واختلف على هذا القول فيمن هي التي وهبت نفسها فقيل: ميمونة بنت الحارث، وقيل: زينب بنت خزيمة أم المساكين، وقيل: أم شريك الأنصارية، وقيل: أم شريك العامرية ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي هبة المرأة نفسها مزية خاصة بالنبي – صلى الله عليه وسلم– دون غيره، وانظر كيف رجع من الغيبة إلى الخطاب[1] ليخص المخاطب وحده، وقيل: إن خالصة يرجع إلى كل ما تقدم، من النساء المباحات له– صلى الله عليه وسلم–، لأن سائر المؤمنين قصروا على أربع نسوة، وأبيح له –عليه الصلاة والسلام– أكثر من ذلك، ومذهب مالك أن النكاح بلفظ الهبة لا ينعقد بخلاف أبي حنيفة،... ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَاجِهِمْ﴾ يعني أحكام النكاح من الصداق، والوليّ، والاقتصار على أربع، وغير ذلك ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ

(١) على طريق الالتفات.

عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ يتعلق بالآية التي قبله أي: بينا أحكام النكاح لئلا يكون عليك حرج، أو لئلا يظن بك أنك فعلت ما لا يجوز، وقال الزمخشري: يتعلق بقوله ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾[1].

جملة التذييل: قال الطاهر بن عاشور: "﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ تذييل لما شرعه من الأحكام للنبى – صلى الله عليه وسلم–"[2].

فائدة جملة التذييل وصلتها بالآية: قال الطاهر بن عاشور: "﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾:

تعليل لما شرعه الله – تعالى– في حق نبيه – صلى الله عليه وسلم– في الآيات السابقة من التوسعة بالازدياد من عدد الأزواج، وتزوج الواهبات أنفسهن دون مهر، وجعل قبول هبتها موكولا لإرادته، وبما أبقى له من مساواته أمته فيما عدا ذلك من الإباحة، فلم يضيق عليه، وهذا تعليم وامتنان"[3].

من أسرار التذييل بجملة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾:

هي تذييل لما شرعه من الأحكام للنبي – صلى الله عليه وسلم– أي أن ما أردناه من نفي الحرج عنك هو من متعلقات صفتي الغفران والرحمة اللتين هما من تعلقات الإرادة والعلم، فهما ناشئتان عن صفات الذات، فلذلك جعل اتصاف الله بهما أمرا متمكنا بما دل عليه فعل (كان) المشير إلى السابقية والرسوخ، فكان معناه فى الأصل المضيّ

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٢ / ١٥٤، ١٥٥)، والتحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (٢٢/ ٦٣).

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٢/ ٧١).

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٢/ ٧١).

والانقطاع...، ويأتي بمعنى الدَّوام والاستمرار كما في قوله- تعالى-: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (١).

الدروس المستفادة من جملة التذييل

أنها بشارة للمؤمنين والمؤمنات بأن الله عاملهم بالغفران، وما تقتضيه صفة الرحمة، فذلك يدل على أن رحمته سبقت غضبه وغلبته، وصار لها الظهور، وإليها ينتهي كل من فيه أدنى سبب من أسباب الرحمة، ولهذا يخرج من النار من كان في قلبه أدنى حبة خردل من الإيمان(٢).

الموضع التاسع: قوله – تعالى-: ﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ (سورة الأحزاب الآية: ٥٤).

المناسبة والمعنى الإجمالي للآية: قال البقاعي: لما كان بعض الدال على الكلام... أصرح من بعض، فكان الإنسان قد يضمر أن يفعل ما يؤذي إذا تمكن، وقد يؤذي بفعل يفعله، ويدعي أنه قصد شيئاً آخر مما لا يؤدي، قال – تعالى- حاملاً لهم على التفطن والتنبه في الأقوال وغيرها، والمقاصد الحسنة ظاهراً وباطناً، على طريق الاستئناف في جواب من ربما انتهى بظاهره، وهو عازم على أن يفعل الأذى عند التمكن: ﴿إِن تُبْدُواْ﴾ أي بألسنتكم أوغيرها ﴿شَيْـًٔا﴾ أي من ذلك وغيره ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ أي في صدروكم.

---

(١) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) (٢/ ٢٤٥) دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م، والتحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (٢٢/٧١، ٧٢).

(٢) ينظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن لأبي عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) ص ٥٩ الناشر: مكتبة الرشد، الرياض الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

ولما كان فعل من يُخفي أمراً عن الناس فَعَل من يظن أنه يخفى على ربه، قال مؤكداً تنبيهاً لفاعل ذلك على هذا اللازم لفعله ترهيباً له: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ أي الذي له جميع صفات الكمال ﴿كَانَ﴾ أزلاً وأبداً به، هكذا كان الأصل ولكنه أتى بما يعمه وغيره، فقال: ﴿بِكُلِّ شَيۡءٍ﴾ أي من ذلك وغيره ﴿عَلِيمًا﴾ فهو يعلم ما أسررتم وما أعلنتم وإن بالغتم في كتمه، فيجازي عليه من ثواب أو عقاب(١).

جملة التذييل: قال الطاهر بن عاشور: " الجملة تذييل لما اشتملت عليه من العموم في قوله: ﴿بِكُلِّ شَيۡءٍ﴾"(٢).

فائدة جملة التذييل: قال الطاهر بن عاشور: " الآية كلام جامع تحريضا وتحذيرا، ومنبىء عن وعد ووعيد، فإن ما قبله قد حوى أمرا ونهيا، وإذ كان الامتثال متفاوتا في الظاهر والباطن وبخاصة في النوايا والمضمرات، كان المقام مناسبا لتنبيههم وتذكيرهم بأن الله مطلع على كل حال من أحوالهم في ذلك، وعلى كل شيء، فالمراد من شيئا الأول؛ شيء مما يبدونه أو يخفونه، وهو يعم كل ما يبدو وما يخفى، لأن النكرة في سياق الشرط تعم"(٣).

أسرار التذييل في الآية:

(١) قال الطاهر بن عاشور: " إظهار لفظ شيء هنا دون إضمار، لأن الإضمار لا يستقيم لأن الشيء المذكور ثانيا هو غير المذكور أولا، إذ المراد بالثاني جميع الموجودات، والمراد بالأول خصوص أحوال الناس الظاهرة والباطنة، فالله عليم بكل كائن، ومن جملة ذلك ما يبدونه ويخفونه من أحوالهم"(٤).

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (١٥ / ٤٠٢).
(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٢/ ٩٥).
(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٢/ ٩٥).
(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٢/ ٩٥).

(٢) قال الالوسي: "في (عَلِيمٌ) من المبالغة ما ليس في عالم، وليس ذلك راجعا إلى نفس الصفة، لأن علمه – تعالى– واحد لا تكثّر فيه لكن لما تعلق بالكلي والجزئي والموجود والمعدوم والمتناهي وغير المتناهي؛ وصف نفسه – سبحانه – بما دل على المبالغة والشيء هنا عام باق على عمومه، لا تخصيص فيه بوجه، خلافا لمن ضل عن سواء السبيل "(١).

(٣) ذكر الإحاطة التامة بكل شيء أي " والله عليم بكل شيء لا ببعض الأشياء كما يزعمه بعض جهلة الفلاسفة "(٢)

(٤) إظهار الاسم الجليل في مقام الإضمار؛ لتأكيد استقلال الجملة، والاشعار بعلَّةِ الحكم(٣).

وقال الشيخ الشعراوي: "عليم" صيغة مبالغة في العلم؛ لأن عِلْم الله – تعالى– عِلْم أزليٌّ ليس مُتجدِّداً بتجدُّد الحدث، فالله يعلم قبل الفعل، وأثناء الفعل، وبعده.

لذلك قلنا: إن الزمن عندنا نحن ماض، وحاضر، ومستقبل، أما بالنسبة للحق – سبحانه– فليس هناك ماض، ولا حاضر، ولا مستقبل؛ لذلك يتكلم – سبحانه– عن المستقبل وكأنه ماض، واقرأ مثلاً: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ (سورة النحل الآية: ١) وأتى فعل ماض ومع ذلك قال بعده: ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ والاستعجال لا يكون إلا لشيء لم يَأْتِ وقته، فكأن (أتى) معناها بالنسبة لكم سيأتي، أما بالنسبة للحق– سبحانه– فإنه أتى بالفعل؛ لأن الزمن كله في علم الله سواء.

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي (١/ ٢١٩، ٢٢٠).
(٢) المرجع السابق (٩ / ٤١٨).
(٣) المرجع السابق (٩ / ٣٦٦).

ومعنى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا﴾ أي: كان وما يزال عليماً؛ لأنه – سبحانه– ما دام كان عليماً، وهو – سبحانه– لا تتأتى فيه الأغيار، فهو– سبحانه– عليم فيما مضى ولا يزال؛ لأنه لا يتغير(١).

الدروس المستفادة من جملة التذييل:

١– في الآية الكريمة دلالة عل إحاطة علمه– سبحانه – بكل شيء، فهو – سبحانه– لا تخفى عليه خافية، أي: ﴿إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا﴾ من إيذاء النبي – صلى الله عليه وسلم – أو من نكاحهن ﴿أَوۡ تُخۡفُوهُ﴾ في أنفسكم من ذلكم﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا﴾، فيجازيكم به، وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد(٢).

الموضع العاشر: قوله – تعالى–: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ (سورة الأحزاب الآية: ٥٠).

المناسبة والمعنى الإجمالي للآية:

لما نهى– سبحانه– عن أذى المؤمنات، وكانت الحرائر بعيدات عن طمع المفسدين لما لهن في أنفسهن من الصيانة، وللرجال بهن من العناية، وكان جماعة من أهل الريبة يتبعون الإماء إذا خرجن يتعرضون لهن للفساد، وكان الحرائر يخرجن لحاجتهن ليلاً، فكان ربما تبع المرأة منهن أحد من أهل الريب يظنها أمة، أو يعرف أنه حرة، ويعتل بأنها ظنها أمة، فيتعرض لها، وربما رجع فقال لأصحابه: فعلت بها وهو كاذب، وفي القوم من يعرف أنها فلانة، فيحصل بذلك من الأذى ما يقصر عنه الوصف، ولم يكن إذ ذاك– كما نقل عن مقاتل– فرق بين الحرة والأمة، كن يخرجن في درع وخمار، وكان اتسام

(١) ينظر: تفسير الشعراوي (١٩ / ١٢١٣٨، ١٢١٣٩) بتصرف يسير.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٤ / ٢٣٧)، و مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (٣ / ٤٣).

الحرائر بأمارة يعرفن بها ليهبن ويتحشمن يخفف هذا الشر، قال– تعالى–: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ فذكره بالوصف الذي هو منبع المعرفة والحكمة، ومن سدّ الذّرائع ألّا يعرّض المؤمن نفسه للشّبه، وألا يدع سبيلا لقالة السوء فيه، بل ينبغي أن يتجنب مواقع التّهم، حتى لا يتعرّض للأذى، ويعرّض غيره للوقوع فيه، وفي قوله – تعالى–: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ... ﴾ الآية دعوة لنساء النبي وبناته ولنساء المؤمنين عامة أن يحموا أنفسهم من ألسنة السوء، وذلك بأن يدنين عليهن من ثيابهن، وأن يرسلنها حتى تكسو أجسامهن إلى مواقع أقدامهنّ... وهذا هو لباس المحتشمات، على خلاف ما كان عليه لباس المتبرجات، الداعيات للرجال إلى أنفسهن... وبهذا الزيّ ينعزل نساء النبي، وبناته، ونساء المؤمنين، عن غيرهن، ممن لا يسوءهن قول، أو فعل(١).

جملة التذييل: قال الطاهر بن عاشور: " التذييل بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ صفح عما سبق من أذى الحرائر قبل تنبيه الناس إلى هذا الأدب الإسلامي، والتذييل يقتضي انتهاء الغرض"(٢).

فائدة جملة التذييل وصلتها بالآية: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

هذه الآية، التي تسمى آية الحجاب، وفيها أمر الله لنبيه، أن يأمر النساء عمومًا، ويبدأ بزوجاته وبناته، لأنهن آكد من غيرهن، ولأن الآمر لغيره ينبغي أن يبدأ بأهله، قبل غيرهم كما قال – تعالى–: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾(٣)

أن ﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ وهن اللاتي يكن فوق الثياب من ملحفة، وخمار، ورداء، ونحوه، أي: يغطين بها، وجوههن وصدورهن، ثم ذكر حكمة ذلك، فقال: ﴿ذَٰلِكَ

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (١٥ / ٤١٠، ٤١١)، والتفسير القرآني للقرآن (١١ / ٧٥١).

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٢/ ١٠٧).

(٣) (سورة التحريم جزء من الآية: ٦).

أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ دل على وجود أذية، إن لم يحتجبن، وذلك، لأنهن إذا لم يحتجبن، ربما ظن أنهن غير عفيفات، فيتعرض لهن من في قلبه مرض، فيؤذيهن، وربما استهين بهن، وظن أنهن إماء، فتهاون بهن من يريد الشر، فالاحتجاب حاسم لمطامع الطامعين فيهن، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ حيث غفر لكم ما سلف، ورحمكم، بأن بين لكم الأحكام، وأوضح الحلال والحرام، فهذا سد للباب من جهتهن(١).

أسرار التذييل بجملة: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف منهن من تركهن إدناءهن الجلابيب عليهن﴿رَّحِيمًا﴾ بهن أن يعاقبهن بعد توبتهن بإدناء الجلابيب عليهن، فهي تأنيس للنساء في ترك الاستتار قبل أن يؤمر بذلك(٢)، فالتعبير بصيغة المبالغة في غفورا – رحيما يفيد كثرة غفران الله ورحمته بعباده، غفورا – رحيما نكرتان للتعظيم.

الدروس المستفادة من جملة التذييل:

أن الله– تعالى– كان وما زال واسع المغفرة والرحمة لمن تاب إليه توبة صادقة مما وقع فيه من أخطاء وسيئات، فهو الله الذي له الكمال المطلق أزلاً وأبداً ﴿غَفُورًا﴾ لما سلف منهن من ترك الستر فهو محاء للذنوب عيناً وأثراً ﴿رَّحِيمًا﴾ بهن إذ سترهن وبمن يمتثل أوامره ويجتنب نواهيه(٣).

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص ٦٧١.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (١٩ / ١٨٣)، والبحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٨ / ٥٠٤).

(٣) ينظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني (٣/ ٢٧٢)، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم لمحمد سيد طنطاوي (١١/ ٢٤٦).

الخـــاتـمـــة

الحمد لله على نعمة اتمام هذا البحث، فبعد هذه الرحلة الماتعة في كتاب الله – تعالى – في سورة الأحزاب تلمست فيها أسرار التذييل فقد تبين لي من خلال هذه السورة الكريمة ما يلي:

١- وجود صلة قوية بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للتذييل.

٢- تناسب التذييل مع الجملة السابقة عليه تناسباً راقياً، يجعل اللاحق يؤكد السابق، والسابق يمهد للاحق في تناغم واتساق.

٣- التذييل قيمة أسلوبية تقود إلى إدراك بُعدٍ من أبعاد بلاغة القرآن العظيم التى لا تنحصر، وهو سبيل لبيان وجه من وجوه إعجازه مما لا يترك مجالاً للشك في كون القرآن الكريم من عند الله – تبارك وتعالى –.

٤- اعتناء جلة من المفسرين بهذا اللون البلاغي، منهم الإمام الألوسي، والعلامة الطاهر بن عاشور، والإمام أبو السعود، والإمام القاسمي.

٥- استوعبت جملة التذييل كثيراً من فنون البلاغة بإسلوب راقٍ، لا تكلف فيه ولا غموض.

□

التـــوصـيـــات

- إعطاء هذا اللون من الدراسة القرآنية عناية كبيرة من الباحثين، لما له من أهمية عظيمة في إبراز الإعجاز البياني للقرآن، وهو وجه من وجوه إعجازه.
- طرح أمثال هذا الموضوع – كالتتميم والايغال في القرآن الكريم – في وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية، وكذلك في وسائل التواصل المختلفة وبيان أهمية أمثال هذه الموضوعات في القرآن الكريم.
- دعوة لعمل مشروع لدراسة هذا الأسلوب في سور القرآن الكريم، وإظهار جوانب العظمة وروعة القرآن الكريم.
- الدعوة إلى إقامة مؤتمرات وندوات وملتقيات يوضح فيها أهمية ذكر التذييل في القرآن الكريم، وأسبابه، وأنواعه المتعددة، وصيغه. وبعد، فما كان في البحث من صواب فهو من فضل الله ومنه، وما كان فيه من قصور فمني ومن الشيطان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.
٢- الإتقان في علوم القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
٣ – الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) المحقق: علي محمد البجاوي الناشر: دار الجيل، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.
٤ – إعجاز القرآن للباقلاني لأبي بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ) المحقق: السيد أحمد صقر الناشر: دار المعارف – مصر الطبعة الخامسة ١٩٩٧م.
٥ – إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: ١٤٠٣هـ) الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت) الطبعة الرابعة ١٤١٥ هـ.
٦ – الإيضاح في علوم البلاغة لمحمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ) المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي الناشر: دار الجيل – بيروت الطبعة الثالثة.
٧ – أسرار التذييل في الربع الثالث من سورة النساء إلى آخر الربع للدكتور: مصطفى أحمد محمد أحمد بحث منشور في مجلة كلية البنات الإسلامية بأسيوط العدد الثامن عشر (يناير) ٢٠٢١م.
٨ – أسرار ترتيب القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

٩- أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) المحقق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة الأولى سنة النشر ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م.
١٠ – أصول الفقه لمحمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ) حققه وعلق عليه وقدم له: الدكتور فهد بن محمد السَّدَحَان الناشر: مكتبة العبيكان الطبعة الأولى١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.
١١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.
١٢ – البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة ١٤٢٠ هـ.
١٣ – البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧ م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه
١٤ – بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبد المتعال الصعيدي (المتوفى: ١٣٩١هـ) الناشر: مكتبة الآداب الطبعة السابعة عشر ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
١٥- البلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ). الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.
١٦ – بلاغة القرآن في تذييل الآيات دراسة تأصيلية للدكتور: أحمد الشرقاوي مجلة تدبر العدد الثاني، السنة الأولى.

١٧ – البيان في عدّ آي القرآن لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ) المحقق: غانم قدوري الحمد الناشر: مركز المخطوطات والتراث – الكويت الطبعة الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٨ – تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لعبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (المتوفى: ٦٥٤هـ) تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.

١٩ – تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٢٠ – تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢١ – تفسير الشعراوي – الخواطر لمحمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) الناشر: مطابع أخبار اليوم.

٢٢ – تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

٢٣ – تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت الطبعة الأولى١٤١٩هـ.

٢٤ – التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.
٢٥ – تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) المحقق: د. مجدي باسلوم الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان الطبعة الأولى١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
٢٦ – التفسير المظهري للمظهري، محمد ثناء الله المحقق: غلام نبي التونسي الناشر: مكتبة الرشدية – الباكستان الطبعة ١٤١٢ هـ.
٢٧ – التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج لوهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ.
٢٨ – التفسير الوسيط للزحيلي للدكتور: وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر: دار الفكر – دمشق الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.
٢٩ – التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمحمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة: الأولى تاريخ النشر: فبراير ١٩٩٨.
٣٠ – تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض مرعب الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
١ – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.
٣٢ – جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ) ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.

٣٣ – خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني لمحمد محمد أبو موسى الناشر: مكتبة وهبة الطبعة السابعة.

٣٤ – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.

٣٥ – زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.

٣٦ – السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ) الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة عام النشر: ١٢٨٥ هـ.

٣٧ – الصناعتين لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت عام النشر: ١٤١٩ هـ.

٣٨ – طبقات الشافعية لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (المتوفى: ٨٥١هـ)) المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان دار النشر: عالم الكتب – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ.

٣٩ – فتحُ البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت عام النشر: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م..

٤٠ – فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.

٤١ – القاموس المحيط لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة الثامنة ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٤٢ – القواعد الحسان لتفسير القرآن لأبي عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) الناشر: مكتبة الرشد، الرياض الطبعة الأولى١٤٢٠ هـ- ١٩٩٩ م.

٤٣ – اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل لمحمد علي السَّراج مراجعة: خير الدين شمسي باشا الناشر: دار الفكر – دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م.

٤٤ – محاسن التأويل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت الطبعة الأولى – ١٤١٨ هـ.

٤٥ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٤٦ – المخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ) المحقق: خليل إبراهم جفال الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٤٧ – مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: دار الحديث – القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.

٤٨ – مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) دار النشر: مكتبة المعارف – الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م.

٤٩ – معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٥٠ – معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٥١ – معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٥٢ – مفاتيح الغيب = التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثالثة ١٤٢٠ هـ.

٥٣ – المنتخب في تفسير القرآن الكريم المؤلف: لجنة من علماء الأزهر الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، طبع مؤسسة الأهرام الطبعة الثامنة عشر ١٤١٦هـ – ١٩٩٥ م.

٥٤ – المنهاج الواضح للبلاغة لحامد عوني الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث.

٥٥ – موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ) تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم تحقيق: د. علي دحروج الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت الطبعة الأولى – ١٩٩٦م.

٥٦ – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة..

٥٧ – النكت في إعجاز القرآن لعلي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (المتوفى: ٣٨٤هـ) المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام

٥٨– نهاية الأرب في فنون الأدب لأحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ) الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ.

٥٩ – لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ. –

فهرس الموضوعات

الملخص: –..... ١٩٨٧
مقدمة ١٩٨٩
أهمية الموضوع وأسباب اختياره: ١٩٨٩
الدراسات السابقة: ١٩٩٠
خطة البحث: ١٩٩٢
منهج البحث: ١٩٩٢
المبحث الأول: الدراسة التأصيلية ١٩٩٤
المطلب الأول: مفهوم التذييل، وأهمية دراسته في القرآن الكريم. ١٩٩٥
المطلب الثاني: مفهوم التذييل، وأهمية دراسته في القرآن الكريم. ١٩٩٩
المطلب الثالث: الفرق بين التذييل والفاصلة ٢٠٠٢
المطلب الرابع: قيمة التذييل البلاغية، وعلاقته بالإعجاز القرآني ٢٠٠٥
المطلب الخامس: مظاهر اعتناء المفسرين بالتذييل ٢٠٠٧
المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية ٢٠١٠
المطلب الأول: التعريف بسورة الأحزاب ٢٠١١
المطلب الثاني: أسرار التذييل في سورة الأحزاب ٢٠١٥
الخاتمة ٢٠٤٣
التوصيات ٢٠٤٤
فهرس المصادر والمراجع ٢٠٤٥
فهرس الموضوعات ٢٠٥٣